

فحص ونقد الروايات في تفسير قوله تعالى : (من عنده علم الكتاب)

الدكتور إحسان روهي دهكردي (الكاتب المسؤول)

أستاذ مساعد - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة شاهرورد - شاهرورد - إيران

dr.ehsanroohi@gmail.com

الدكتور محمد شريعتي كمال آباد

أستاذ مساعد - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة شاهرورد - شاهرورد - إيران

shariati9@yahoo.com

الدكتور مجيد روهي دهكردي

أستاذ مساعد - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة شاهرورد - شاهرورد - إيران

mjdrouhi@yahoo.ie

A narrative analysis of the Quranic phrase “The one who had the knowledge from the Book”

Ehsan Rouhi Dehkordi (Corresponding author)

**Assistant Professor , Faculty of Literature and Humanities , Shahrekord
University , Shahrekord , Iran**

Mohammad Shariati Kamalabadi

**Assistant Professor , Faculty of Literature and Humanities , Shahrekord
University , Shahrekord , Iran**

Majid Rouhi Dehkordi3

**Assistant Professor , Faculty of Literature and Humanities , Shahrekord
University , Shahrekord , Iran**

الملخص :

Abstract:

The exploration in the labyrinth of the world of hadith quotation and publication has always been the focus of attention of thinkers and scholars of religious sciences, so that they can benefit from the sublime concepts and teachings of their predecessors and great men of religion and also prevent the influence of superstitions and baseless concepts that have been the result of the personal and sometimes prejudiced thinking of opponents by making a distinction between authentic and non-authentic hadiths. Accordingly, an exploration of hadiths that have provided interpretations of Quranic verses and commentary and hermeneutic books written based on hadiths from the Prophet (PBUH) and his companions is of high significance. Because the Qur'an is the foundation of the unity of Islamic beliefs, and misinterpretations and misconceptions will turn this foundation of unity into a source of discord. It seems that this important issue had also been considered by the Prophet (PBUH) who has warned Muslims not to interpret the verses of the Qur'an. This per se demonstrates the need for narrative analysis of the Quranic phrase "The one who had the knowledge from the Book" in Verse 43 of Surah Ra'd, to discover the true meaning of the verse and try to criticize incorrect interpretations of the verse. In fact, the verse refers to a person who has the "knowledge from the Book". However, there are many different views expressed by various narrators about the person who possesses such knowledge. In this regard, the hadiths narrated by Shia and Sunni narrators and some critiques on them have been explored and discussed in this study using a library technique.

The results of this study showed that ideological biases, personal resentments, and self-interested interpretations have led some narrators to distort the narrations and, consequently, to change the meaning of some of the verses.

Key words : Interpretation , Interpretive Narratives , Knowledge from the Book , Scholars of Hadith Sciences

لطالما كان الفحص في متاهة عالم نقل الحديث محط اهتمام العلماء وباحثي علوم الدين لأن يستفيدوا من المفاهيم والتعاليم العالية للقدماء وشيوخ الدين من ناحية، ويغلقوا من خلال تمييز الصحيحة من غيرالصحيحة، الطريق علي تأثير الخرافات والمفاهيم الرديئة التي كانت نتيجة لتفكير الشخصي وعمل المغرضين في بعض الأحيان ، من ناحية أخرى. في هذه الأثناء، التعمق في الأحاديث التي تناولت تفسير آيات القرآن - وبهذه الطريقة كتبت كتب التفسير المأثورة- له أهمية مضاعفة لأن القرآن كان الأساس لوحدة المعتقدات الإسلامية، وغني عن البيان أنه ستحول هذه التفسير الخاطئة و الإدراكات المسيئة أساس الوحدة ذاته إلى مصدر الاختلاف. وكأن هذا الأمر كان موضع اهتمام النبي (ﷺ)، الذي منع المسلمين بشدة من تفسير برأي آيات القرآن. يوضح هذا الأمر نفسه ضرورة معالجة موضوع هذا البحث. قام المؤلف في هذه المقالة بالنقد و دراسة مجموعة من الاحاديث التي قد صرحت بتفسير عبارة «من عنده علم الكتاب» في الآية ٤٣ من سورة الرعد، لأن يسعى ضمن اكتشاف المفهوم و المعنى الحقيقي للآية، لنقد الروايات غيرالصحيحة في تفسير الآية. في الواقع، تشير الآية إلى الشخص الذي عنده «علم الكتاب». كما نري حالياً أنتج التعبير عن مصداق هذا الشخص وجهات نظر مختلفة قد ظهرت في روايات الرواة. في هذا الصدد تم ذكر أحاديث فريقين وإيراد انتقادات أساسية علي بعض هذه الروايات. أظهرت نتائج هذا المقال أن أغراض إيديولوجية و أحقاد شخصية والتفسير بالرأي قد أجبرت بعض الرواة علي تحريف الروايات وعلي إثره تغيير مفهوم بعض الآيات. الطريقة للقيام بهذه المقالة الطريقة المكتبية.

الكلمات المفتاحية : التفسير - الروايات التفسيرية - علم الكتاب - الرواة .

التمهيد

نعلم أن المجتمع الاسلامي بعد وفاة الرسول (ﷺ) انقسم إلى قسمين بسرعة وبعد مدة إلى أقسام متعددة من حيث الخلاف على خلافته. وأصبح هذا الامر بداية للاختلافات الإيديولوجية، مثل الخلافات الفقهية والتفسيرية والعقلية وفي إثره ظهرت المكاتب والفرق الإسلامية. وقد ظنت هذه الفرق كل منها استنادا بآيات القرآن شرعية بعض الصحابة لخلافة الرسول (ﷺ) واتبعوا مسارا مختلفا. من هذه الآيات هي الآية الأخيرة من سورة الرعد التي يشهد الله نفسه والشخص الذي عنده علم الكتاب، على حقيقة رسالة الرسول (ﷺ).

والآن يطرح هذا السؤال أنه من هو المصدق العيني للشخص الذي معه "علم الكتاب"، وإلي من تشير هذه الآية؟ الإجابة على هذا السؤال قد أحدثت خلافات بين الفريقين التي ظهرت في روايات في تفسير هذه الآية.

يبدو أن رواة الفريقين قد أشاروا إلى شرعية فرقتهم إشارة من خلال نقل أحاديث في تفسير الآية أعلاه. لذلك من الضروري أن تعالج صحة هذه الروايات بفحص دقيق لها.

بما أن موضوع هذه المقالة جديد ومبتكر، لا يوجد بحث مستقل عن الفحص ونقد الروايات في تفسير "من عنده علم الكتاب". لكن قد أشير إلى هذا الموضوع في بعض فصول الكتب. منها الكتب الحديثية والتفسيرية للفريقين التي قدمت في هذا الموضوع مطالب مفيدة استفدنا منها في هذه المقالة.

ذكرنا في هذه المقالة أولاً وجهة نظر الشيعة حول تفسير الآية بذكر أحاديث، ثم فحصنا مصادر الحديث السني، وبعد أن ذكرنا وجهات نظر مختلفة تناولنا بنقدهم وأخيراً قد انتهينا من المقالة بنتيجة حاصلة من النص.

التحديد المصداقي لعبارة "من عنده علم الكتاب" في المصادر الشيعية

العبارة المعنية هي الجزء الأخير للآية التالية:

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ

عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ (الرعد / ٤٣)

يذعن مفسرو الشيعة أن المقصود من عبارة "و من عنده علم الكتاب" هو أمير المؤمنين علي (عليه السلام). منهم: الشيخ الطبرسي (١٣٧٢ هـ، ص ٢٦٩)، العلامة الطباطبائي (١٤١٧ هـ، ص ١١، ص ٣٨٧-٣٨٤)، سيد هاشم البحراني (١٤١٦ هـ، ص ٣: ص ٩٤-٩٥)، الملا فتح الله كاشاني (١٤٢٣ هـ، ص ٣. (ص ٤٦٢)، الخويزي (١٣٧٠ م، المجلد ٢: ص ٥٢٤) و..

حيث أن عنوان هذه الدراسة هو فحص الروايات التفسيرية، نصرح الأحاديث التي تشير إلى الإمام علي (عليه السلام) كمصدق لهذه الآية.

عن عطية العوفي، عن أبي سعيد الخدري، قال: سألت رسول الله (ﷺ) عن قول الله جل ثناؤه: ... ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾، قال: ذاك أخي علي بن أبي طالب. (الصدوق، ١٤١٧ق، ص ٦٥٩؛ الفتال النيشابوري، بي تا، ص ١١١)

عن سلمان الفارسي رحمه الله، عن أمير المؤمنين (عليه السلام)، في قول الله تبارك و تعالي: ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ قال: «أنا هو الذي عنده علم الكتاب» (البحراني، ١٤١٦ق، ج ٢: ص ٢٩٢)

قال الباقر (عليه السلام): «ومن عنده علم الكتاب»، قال: علي بن أبي طالب (عليه السلام) عنده علم الكتاب الأول والآخر. (الفتال النيشابورية، بي تا، ص ١٠٥)

عن عبد الله بن بكير، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: ... قال الله: ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ و كان والله عند علي (عليه السلام) علم الكتاب. (الصفار، ١٣٦٢ش، ص ٢١٢)

كما يتبين في أحاديث النبي (ﷺ) والأئمة المعصومين هذه، فإن الشخص الذي معه علم الكتاب هو أمير المؤمنين علي (عليه السلام).

جدير بالذكر أن هناك أحاديث أخرى في كتب الحديث الشيعي تصرح جميع الأئمة كمصدق لهذه الآية.. ضمن تصريحهم بأن الأول والافضل هو لإمام علي (عليه السلام) (ر.ك: البحراني، ١٤١٦ق، ج ٣: ص ٢٧٦-٢٧٢)

من هذه الروايات:

عن بريد بن معاوية، قال: قلت لأبي جعفر (عليه السلام): ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾؟ قال: إيانا عني، وعليّ أولنا وأفضلنا وخيرنا بعد النبي (ﷺ). (الكليني، ١٣٦٣ش، ج: ١، ص: ٢٢٩؛ المغربي، ١٩٦٣م، ج: ١، ص: ٢٢) هذه الروايات أيضا في الاصل في أمتداد الروايات السابقة التي تصرّح مصداق هذه العبارة كلّاً من الأئمة المعصومين في عصره الذين كانوا جميعاً نوراً واحداً و لم يكن المصداق الأول والأهم بالطبع سوى الإمام الأول علي بن أبي طالب..

التحديد المصداقي لعبارة "من عنده علم الكتاب" في المصادر السنية
صرّح مفسرو السنة وجهات نظر مختلفة عن الشيعة بناءً على الروايات في تفسير هذه العبارة، في هذا المجال نقوم بتصنيف هذه الروايات وفحص كلا منها.

الرأي الأول: المقصود من هذه العبارة «من عنده علم الكتاب»، هو عبدالله بن سلام. ربما تكون سبب هذا الاستنتاج عبارة "علم الكتاب"، لأنه في اعتقاد بعض المفسرين المقصود من «الكتاب» في هذه العبارة هي التورات... (ر.ك: الكاشاني، ١٤٢٣ق، ج: ٣، ص: ٤٦١؛ الرازي، بي تا، ج: ١٩، ص: ٧٠؛ البيضاوي، بي تا، ج: ٣، ص: ٣٣٥)"

وبما أن عبد الله كان من كبار اليهود و أحبارهم قبل هجرة الرسول، فظن أن عبدالله بن سلام هو المقصود من هذه الآية . علي أي حال يوجد هذا الرأي في روايات نفحصها و ننتقدّها.

•رواية المجاهد والقتادة:

عن مجاهد، في قوله تعالى: «و من عنده علم الكتاب»، قال: هو عبد الله بن سلام. (مجاهد بن جبير، بي تا، ج: ١، ص: ٣٣؛ الثوري، ١٩٨٣م، ص: ١٥٥؛ طبري، ١٩٩٥م، ج: ١٣، ص: ٢٣٠؛ النحاس، ١٤٠٩ق، ج: ٣، ص: ٥٠٦)

- «و من عنده علم الكتاب»، قال قتاده: هو عبد الله بن سلام. (سمعاني، ١٩٩٧م،

ج: ٣، ص: ١٠١؛ بغوي، بي تا، ج: ٣، ص: ٢٥)

لكن الاشكال الرئيسي لهذه الروايات هي قضية التقدم والتأخر التاريخي والزمني. لأن سورة الرعد هي مكية، وكما ذكرنا من قبل، آمن عبد الله بن سلام في المدينة وبعد هجرة النبي، فكيف اعتبر عبد الله بن سلام مصداقا لهذه الآية؟ يبدو أن هذه المسألة كانت مركز الاهتمام لرواة مثل سعيد بن جبير وشعبي، لذلك رفضوا قول المجاهد وقادة:

عن أبي بشر، قال: قلت لسعيد بن جبير: «و من عنده علم الكتاب» أهو عبد الله بن سلام؟ قال: هذه السورة مكية، فكيف يكون عبد الله بن سلام؟ (طبري، ١٩٩٥م، ج ١٣: ص ٢٣٢؛ قرطبي، ١٩٨٥م، ج ٩: ص ٣٣٦؛ ثعلبي، ٢٠٠٢م، ج ٥: ص ٣٠٢) ... «و من عنده علم الكتاب» قال قتاده: هو عبد الله بن سلام، وأنكر الشعبي هذا وقال: السورة مكية وعبد الله بن سلام أسلم بالمدينة. (بغوي، بي تا، ج ٣: ص ٢٥) قد روي عن لعكرمة والحسن مثل هذا القول والانكار.. (رك: ابن عبد البر، ١٩٩٢م، ج ٣: ص ٩٢٢)

ومع ذلك، يبدو أن عبد الله نفسه قد ألحَّ بأنَّ هذه الآية والآيات الأخرى قد نزلت في كرامته. هذا المعنى واضح في الرواية التي نقلها ابن أخيه. الرواية هي: عن عبد الملك بن عمير، عن ابن أخي عبد الله بن سلام، قال: لما أريد عثمان، جاء عبد الله بن سلام فقال له عثمان: ما جاء بك؟ قال: جئت في نصرتك. قال: أخرج إلي الناس فطردهم عني فانك خارج خير لي منك داخل، قال: فخرج عبد الله بن سلام إلي الناس فقال: أيها الناس إنه كان اسمي في الجاهلية فلان، فسماني رسول الله (ﷺ) عبد الله، ونزلت في آيات من كتاب الله، نزلت في ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكَرَّ بِمُكَّتٍ لَّهِ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿(الأحقاف/١٠)﴾ ونزلت في ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ ﴿إنَّ الله سيفا مغمودا عنكم وإن الملائكة قد جاورتكم في بلدكم هذا الذي نزل فيه نبيكم فالله الله في هذا الرجل أن تقتلوه فوالله إن قتلتموه لتطردن جيرانكم الملائكة وتسلن سيف الله المغمود عنكم فلا يغمد إلي يوم القيامة، قال: فقالوا: اقتلوا اليهودي واقتلوا عثمان. (ترمذي، ١٩٨٣م، ج ٥: ص ٥٧-٥٨)

ولكن يبدو أن علماء السنة لم يهتموا بهذه الرواية واعتبروه ضعيف الإسناد والغريب. (ر.ك: الألباني، ١٩٩١م، ص ٤١٤-٤١٥). وحتى روي في بعض الروايات السنية أنه ما نزل في عبد الله ابن سلام شيء من القرآن. وأخرج ابن المنذر عن الشعبي رضي الله عنه قال ما نزل في عبد الله ابن سلام رضي الله عنه شيء من القرآن (سيوطي، ١٤٠٤ق، ج٤: ص ٦٩).

(سيوطي، ١٤٠٤ق، ج٤: ص ٦٩).

مع هذه التوضيحات دلالة عبارة السابقة علي عبد الله بن سلام غير قابل الاهتمام وهي مردودة. الامام الباقر يشير الي كذب هذا الادعاء في رواية ايضا:
عن عبد الله بن عطاء، قال: قلت لأبي جعفر (عليه السلام): هذا ابن عبد الله بن سلام ﴿بن عمران﴾ يزعم أن أباه الذي يقول الله: ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ قال: كذب، هو علي بن أبي طالب (عليه السلام). (العياشي، بي تا، ج٢: ص ٢٢٠)

الراي الثاني: رأيان سنشير إليهما في ما يلي وهما يشابهان النظرية الأولى. وربما اعرب عنهما بسبب نوع الفهم

١ من «علم الكتاب» - وقد ذكرناه سابقاً. قد أُشير في هذا الراي إلي أن معني عبارة «من عنده علم الكتاب» هم علماء اهل الكتاب (اليهود و النصراري) وتلك رواية رواه العوفي عن ابن العباس وقد أشار ابن الكثير والطبري إليها ايضا.
... «و من عنده علم الكتاب»، قال العوفي: عن ابن عباس، قال: هم من اليهود والنصارى. (ابن كثير، ١٩٩٢م، ج٢: ص ٥٤٠؛ طبري، ١٩٩٥م، ج١٣: ص ٢٣٠)

اعتبر الواحددي و البغوي في تفسيرهما معني هذه الآية اولئك الذين آمنوا من أهل الكتاب دون الإشارة إلي الرواية .

ضعيف الإسناد : يعني أن سند الحديث غير صالح للإعتماد عليه و لقبوله من عند المحدثين بسبب وجود الرواة الضعفاء فيها. ورغم أنه يمكن أن يكون نص الحديث صالحاً للعمل ومقبولاً. أي قد يروى الحديث المذكور بسند صحيح آخر. يستخدم

فحص ونقد الروايات في تفسير قوله تعالى : (من عنده علم الكتاب) (276)

البعض عبارة "إسناده ضعيف". أيضاً وهي تعادل هذه العبارة نفسها (ر.ك: شهيد ثاني، ١٤٠٨ق، ص ١٦٤؛ انصاري، بي تا، ج: ١، ص ٦)

رواية الغريب هي رواية روي نصها راو واحد فقط. ولا تكون معروفا لعلماء الحديث من جهة أخرى. في بعض الأحيان يستخدم المحدثون ما يعادلها بكلمة "المنفرد". وجدير بالذكر أن الغريب قد يستخدم لنص الحديث وقد يستخدم لسند الحديث. (ر.ك: شهيد الثاني، ١٤٠٨ق، ص ١٠٧)

... «و من عنده علم الكتاب»: هم مؤمنوا أهل الكتابين وكانت شهادتهم قاطعه لقول أهل الخصوم. (الواحد، ١٤١٥ق، ج: ١، ص ٥٧٦؛ البغوي، بي تا، ج: ٣، ص ٢٥)

قد نقل العلامة طباطبائي ردّاً علي هذا الراي: «فيه أن الذي أخذ في الآية هو الشهادة دون مجرد العلم، و السورة مكية و لم يؤمن أحد من علماء أهل الكتاب يومئذ كما قيل و لا شهد للرسالة بشيء فلا معنى للاحتجاج بالاستناد إلى شهادة لم يقيم بها أحد بعد.» (طباطبائي، ١٤١٧ق، ج: ١١، ص ٣٨٥).

الراي الثالث: هو رأي القتادة في «من عنده علم الكتاب» وهو يري معني تلك العبارة أهل الكتاب الذين قد شهدوا على صدق دين الإسلام و حقيقته. و قد اعتبر منهم عبدالله بن سلام، سلمان الفارسي، و تميم الداري. عن قتاده، «و من عنده علم الكتاب»: أناس من أهل الكتاب كانوا يشهدون بالحق و يقرون به، و يعلمون أن محمدا رسول الله، و كان منهم عبد الله بن سلام، و سلمان الفارسي، و تميم الداري. (طبري، ١٩٩٥م، ج: ١٣، ص ٢٣١؛ سمعاني، ١٩٩٧م، ج: ٣، ص ١٠١؛ ابن كثير، ١٩٩٢م، ج: ٢، ص ٥٤٠) بالطبع واضح أن هذا الرأي يمكن أيضاً نقده و رده للأسباب التي ذكرناها حول وجهتي النظر الأولى والثانية.

الرأي الرابع: معني العبارة «من عنده علم الكتاب» هو الله . (ر.ك: طبري، ١٩٩٥م، ج: ١٣، ص ٢٣١-٢٣٢؛ بغوي، بي تا، ج: ٣، ص ٢٥)

يبدو أن الاعتقاد بهذا الرأي ينبع من مفهوم أن معني "الكتاب" هو "اللوح المحفوظ". إذا تم تقديم مثل هذا التفسير "للكتاب- "؛ (ر.ك: طبرسي، ١٤٢٠ق، ج٢: ص ٢٦٩)؛ فيجب أن يقال : معني العبارة «من عنده علم الكتاب» هو الله . لكن هؤلاء المفسرين لم يكونوا متبهمين بأن هذا التفسير هو في تناقض واضح بالنسبة إلي بلاغة القرآن و فصاحته .

وقد اعتبر علماء علوم القرآن وجهة من وجهات معجزة القرآن بلاغته و فصاحته . حيثما لم يتمكن أي من أدباء العرب، الذين اشتهروا بالبلاغة و الفصاحة غايتهم، أن يتكلموا مثل القرآن . (ر.ك: شريف الرضي، ١٩٥٥م، ص ٣٣) و الآن، ذلك بعيد عن المبادئ وقواعد البلاغة أن يقول الله في بداية الآية بأنه نفسه شاهد على رسالة النبي (ﷺ)، كذلك و تشير إلي نفسه بذلك مرة أخرى لاحقا. و أنه كقولك : "أنا شاهد على هذا الأمر بالإضافة إلى ذلك أنا أيضا شاهد"

قال العلامة الطباطبائي في نقد هذا الرأي:

فيه أولا أنه خلاف ظاهر العطف، وثانيا أنه من عطف الذات مع صفته إلى نفس الذات و هو قبيح غير جائز في الفصيح و لذلك ترى الزمخشري لما نقل في الكشف هذا القول عن الحسن بقوله: و عن الحسن: «لا والله ما يعني إلا الله» قال بعده: و المعنى كفى بالذي يستحق العبادة و بالذي لا يعلم علم ما في اللوح إلا هو شهيدا بيني و بينكم. انتهى فاحتال إلى تصحيحه بتبديل لفظة الجلالة «الله» من «الذي يستحق العبادة» و تبديل «من» من «الذي...» ليعود المعطوف و المعطوف عليه و صفين فيكون في معنى عطف أحد و صفي الذات على الآخر و إناطة الحكم بالذات بما له من الوصفين كدخالتهما فيه فافهم ذلك.

على أن التأمل فيما تقدم ﴿في تفسير هذه الآية﴾ من أن المراد بهذه الشهادة تصديق القرآن لرسالة النبي (ﷺ) يعطي أن وضع لفظة الجلالة في هذا الموضع لا للتلميح إلى معناه الوصفي بل لإسناده الشهادة إلى الذات المقدسة المستجمعة لجميع صفات الكمال لأن شهادته أكبر الشهادات قال سبحانه: ﴿قُلْ أَتَىٰ مَنِيَّ أَكْبَرُ شَهَادَةٍ قُلْ اللَّهُ شَهِيدُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾

(الأنعام/١٩). (طباطبائي، ١٤١٧ق، ج١١، ص ٣٨٥-٣٨٤).

وأما في قول آخر، قداطلقوا (قد قرأوا) البعض هذه العبارة بشكل «من عنده علم الكتاب». أي «من» من حروف الجر - وليس اسم موصول - و ايضا «عنده» مجرور بحرف جر. قد رويت قراءة ابن العباس هذه الآية بهذه القراءة .. (ر.ك: سمعاني، ١٩٩٧م، ج٣: ص ١٠١). ولكن هذا القول غير مشهور و لا يعتبر القرطبي هذه الرواية صحيحة. (ر.ك: قرطبي، ١٩٨٥م، ج٩: ص ٣٣٦). لكن على أي حال، يعتبر المجاهد و الحسن، المقصود من «من عنده علم الكتاب» هو الله بناء على قراءة ابن عباس هذه ؛ (طبري، ١٩٩٥م، ج١٣: ص ٢٣١-٢٣٢؛ بغوي، بي تا، ج٣: ص ٢٥) و قد سبقت نقده . بالإضافة إلى ذلك، فإن هذه القراءة تتعارض مع القراءة المعروفة بين المسلمين.

الرأي الخامس: معني عبارة «من عنده علم الكتاب» هو جبريل.
... «و من عنده علم الكتاب»، سعيد بن جبير قال: هو جبريل (عليه السلام). (سمعاني، ١٩٩٧م، ج٣: ص ١٠١)

... «و من عنده علم الكتاب»، جبريل، وهو قول ابن عباس. (قرطبي، ١٩٨٥م، ج٩: ص ٣٣٦)

في نقد هذا الرأي وفي الجزء الأخير من النظريات، سنقول أن ابن عباس لينفي هذه النظريات في نهاية حياته و يعبر عن المعنى الحقيقي للآية موقنا مؤكدا بقسم.
الرأي السادس: وقاله السدي و الكلبي فقط، و هما يعتبران معني العبارة «من عنده علم الكتاب»، كل العلماء المؤمنين.

... «و من عنده علم الكتاب»، قال السدي و الكلبي: يعني علماء المؤمنين كلهم.
(ثعلبي، ٢٠٠٢م، ج٣: ص ٣٣)

من الانتقادات التي يمكن توجيهها لهذا الرأي أنه ليس غير معروف عند مفسري الفريقين فقط، بل لم يتم ذكره في الروايات التفسيرية الشيعية والسنية المختلفة (ر.ك: بحراني، ١٤١٦ق، ج٣: ص ٢٧٧-٢٧٢؛ سيوطي، ١٤٠٤ق، ج٤: ص ٦٩)

من ناحية أخرى، نظرا إلى عبارة "علم الكتاب" في الآية قيد المناقشة واختلافها مع "علم من الكتاب" التي قد جاءت في آية ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ قَدِ اسْتَلَمْتُ نَفْسِي إِذْ أَنَا فِي سَوَاءٍ مَّيْمَنٍ﴾ (النمل/٤٠)، يمكن نقد آخر للآراء الأولى والثانية والثالثة والسادسة،

التي تحسب اشخاصا مثل عبد الله بن سلام أو العلماء اليهود أو العلماء المسلمين مصاديق لها

و هو أن «علم من الكتاب» المذكور في الآية أعلاه هو موقف عال و درجة رفيعة، ولكنه قليل جداً مقارنة بعلم الكتاب. ولن يتمكن هؤلاء الناس المذكورون من النيل إلى مثل هذه الدرجة الرفيعة.

و عندما سئل الإمام صادق (عليه السلام):

... و سئل عن الذي عنده علم من الكتاب أعلم أم الذي عنده علم الكتاب فقال ما كان علم الذي عنده علم من الكتاب عند الذي عنده علم الكتاب إلا بقدر ما تأخذ البعوضة بجناحها من ماء البحر. ... (قمي، ١٣٦٧ش، ج: ١، ص ٣٦٧)
كما نقل عن ذلك الإمام (عليه السلام) في هذا الصدد أن هناك كل علم الكتاب عند أهل البيت (عليهم السلام):

... عن عبد الرحمن بن كثير الهاشمي عن أبي عبد الله ع قال: قال الذي عنده علم من الكتاب أنا أتيتك به قبل أن يرتد إليك طرفك قال ففرج أبو عبد الله ع بين أصابعه فوضعها على صدره ثم قال و الله عندنا علم الكتاب كله. (صفار، ١٣٦٢ش، ص ٢١٢)
وقد روى في حديث آخر في ما يماثل هذا الموضوع عن الإمام باقر (عليه السلام) في غزارة علم الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) :

... عن جابر عن أبي جعفر ع قال: إن اسم الله الأعظم على ثلاثة و سبعين حرفاً - و إنما كان عند آصف منها حرف واحد فتكلم به فخسف بالأرض ما بينه و بين سرير بلقيس حتى تناول السرير بيده ثم عادت الأرض كما كانت أسرع من طرفة عين و نحن عندنا من الاسم الأعظم اثنان و سبعون حرفاً و حرف واحد عند الله تعالى استأثر به في علم الغيب عنده و لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم. (كليني، ١٣٦٣ش، ج: ١، ص ٢٣٠)

لهذا لا يمكن القول بأن كل الشخص، حتى و له علم كثير، يمكن أن ينال إلى مثل هذه الدرجة و الذي يذكره الله بعبارته «من عنده علم الكتاب» و يمدحه.

الرأي السابع: هناك روايات مختلفة في المصادر السننية تعتبر معنى "«من عنده علم الكتاب»، هو الإمام علي (عليه السلام).

قد رويت هذه الروايات التي بعضها يشابه الروايات الشيعية عن عبد الله بن عطاء وابن الحنفية وأبو سعيد الخدري وابن عباس وأبو صالح: عن عطية العوفي، عن أبي سعيد الخدري، قال: بعضهم يتداخل مع ما ورد في المصادر الشيعية سألت رسول الله (ﷺ) عن قول الله تعالى: «و من عنده علم الكتاب»، قال: ذاك أخي علي بن أبي طالب. عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، في قوله تعالى: «و من عنده علم الكتاب» قال: ﴿هو﴾ علي بن أبي طالب.

عن أبي صالح، في قوله عز وجل: «و من عنده علم الكتاب»، قال: ﴿قال﴾ رجل من قريش: هو علي ولكننا لا نسميه. عن الأعمش: عن أبي صالح، ﴿في قوله تعالى﴾: «و من عنده علم الكتاب»، قال: علي بن أبي طالب، كان عالماً بالتفسير والتأويل والناسخ والمنسوخ والحلال والحرام. قال أبو صالح: سمعت ابن عباس مرة يقول: هو عبد الله بن سلام وسمعت في آخر عمره يقول: لا والله ما هو إلا علي بن أبي طالب. (حسكاني، ١٩٩٠م، ج: ١، ص ٤٠٠-٤٠٥)

قال عبد الله بن عطاء: كنت جالسا مع أبي جعفر في المسجد، فرأيت ابن عبد الله بن سلام جالسا في ناحيه. فقلت لأبي جعفر: زعموا أن الذي عنده علم الكتاب عبد الله بن سلام. فقال: إنما ذلك علي بن أبي طالب. عن أبي عمر زاذان عن ابن الحنفية «و من عنده علم الكتاب»، قال: هو علي بن أبي طالب. (ثعلبي، ٢٠٠٢م، ج: ٥، ص ٣٠٣؛ قرطبي، ١٩٨٥م، ج: ٩، ص ٣٣٦) ما يشير الانتباه والاهتمام في هذا الرأي هو أن بعض رواة السنة كانوا كارهين في التعبير عن هذا الرأي أو تحفونه. على سبيل المثال، في رواية أبو صالح، من الواضح أن هناك نوعاً من الكراهة في التعبير عن هذا الرأي.

حتى يروي الطبري عن أبي صالح أنه لا يذكر اسم الإمام علي (عليه السلام). عن أبي صالح، في قوله: «و من عنده علم الكتاب»، قال: رجل من الانس، ولم يسمه. (طبري، ١٩٩٥م، ج: ١٣، ص ٢٣٠)

ورغم أن كراهة أبي صالح واضح في التعبير عن الحقيقة في الرواية المذكورة ولكن باعتقاد المؤلف، لا يمكن القول باليقين: بأن الحق قد أخفي الحقيقة. لأننا قلنا:

پاورقي ١١

اسمه الكامل زكوان أبو صالح السمان وهو من التابعين. لقد أكد رواية السنة ثقته .
(ر.ك: ابن سعد، بي تا، ج: ٦ ص ٢٢٧؛ ابن حنبل، ١٤٠٨ق، ج: ٣ ص ١٦١؛
عجلي، ١٤٠٥ق، ج: ١ ص ٣٤٥).

وقد أبدى رجالو السنة ثقته و صرحوا بها. إضافة إلى ذلك، في رواية نقلها أعمش
عن أبي صالح ، هو قد ذكر بصراحة اسم الإمام علي (عليه السلام)
و بعد دراسة بعض الأحاديث الأخرى التي نقل عن أبي صالح يمكن أن نقول أنه
لم يكره ذكر فضائل أمير المؤمنين. (ر.ك: حاكم نيشابوري، بي تا، ج: ٣ ص ١٢٥). مع
هذا، لا يمكن القول باليقين بأن تعبير أبو صالح قد كان خالياً من الغرض.
هناك أيضاً احتمال آخر وهو أن هذا التعبير قد حدث من قبل الرواة التالية. لأنه و
مع الأسف استخدم بعض الرواة وعلماء السنة في بعض الأحيان التجزئة، والاختصار
والأساليب الأخرى لإخفاء ما يخالف رأيهم.
النتيجة:

اتفق كثير من المفسرين و رواة الشيعة والسنة أن معني العبارة «من عنده علم
الكتاب» هو امام علي (عليه السلام). لأنه نرى في رواية مشتركة في مصادر الفريقين أن
رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال ذلك. لكن بعض رواة السنة عبروا أيضاً عن وجهات نظر أخرى
صالحة للردّ و النقد. من ناحية أخرى، تشير هذه الآراء المتناقضة إلي أن من أجل فهم
أفضل للروايات التفسيرية نحن بحاجة إلى جهد دؤوب لاكتشاف الحقيقة.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير ما نبتدىء به القرآن الكريم.

١. ابن أبي الحديد، عبد الحميد. (بي تا). شرح نهج البلاغة. قاهره: دار إحياء الكتب العربية.
٢. ابن حنبل، احمد. (١٤٠٨ق). العلل. رياض: دار الخاني.
٣. ابن سعد، محمد. (بي تا). الطبقات الكبرى. بيروت: دار صادر.
٤. ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله. (١٩٩٢م). الاستيعاب. بيروت: دار الجليل.

٥. ابن كثير، اسماعيل. (١٩٩٢م). تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير). بيروت: دار المعرفة.
٦. الألباني، محمد ناصر. (١٩٩١م). ضعيف سنن الترمذي. بيروت: لمكتب الإسلامي.
٧. البيضاوي، ناصر الدين. (بي تا). تفسير البيضاوي. بيروت: دار الفكر.
٨. الثوري، سفيان. (١٩٨٣م). تفسير الثوري. بيروت: دار الكتب العلمية.
٩. الرازي، فخر الدين. (بي تا). تفسير الرازي. بي جا.
١٠. العياشي، محمد بن مسعود. (بي تا). تفسير العياشي. تهران: المكتبة العلمية الإسلامية.
١١. العيني، بدر الدين. (بي تا). عمدة القاري. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
١٢. النحاس، أبي جعفر. (١٤٠٩ق). معاني القرآن. عربستان: جامعة أم القرى.
١٣. الأنصاري، محمد. (بي تا). معجم الرجال والحديث. بي جا: بي جا.
١٤. البحراني، سيد هاشم. (١٤١٦ق). البرهان في التفسير القرآن. قم: مؤسسة البعثة.
١٥. البغوي، الحسين بن مسعود. (بي تا). معالم التنزيل في تفسير القرآن. بيروت: دار المعرفة.
١٦. الترمذي، محمد بن عيسى. (١٩٨٣م). سنن الترمذي. بيروت: دار الفكر.
١٧. الثعلبي، أحمد. (٢٠٠٢م). الكشف والبيان عن تفسير القرآن (تفسير الثعلبي). بيروت: دار إحياء التراث العربي.
١٨. الحاكم النيشابوري، أبي عبدالله. (بي تا). المستدرک علي الصحيحين. دار المعرفة: بيروت.
١٩. الحسكاني، عبيد الله بن أحمد. (١٩٩٠م). شواهد التنزيل لقواعد التفضيل. بي جا: مجمع إحياء الثقافة الإسلامية.
٢٠. الخويزي، عبد علي. (١٣٧٠ش). تفسير نور الثقلين. قم: موسسه اسماعيليان.
٢١. الذهبي، شمس الدين محمد. (١٩٩٣م). سير أعلام النبلاء. بيروت: مؤسسة الرسالة.
٢٢. السمعاني، منصور بن محمد. (١٩٩٧م). تفسير السمعاني. رياض: دار الوطن.
٢٣. السيوطي، جلال الدين. (١٤٠٤ق). الدر المنثور في التفسير بالمأثور، قم: كتابخانه آية الله مرعشي نجفی.
٢٤. الشريف الرضي، محمد بن الحسين. (١٩٥٥م). تلخيص البيان في مجازات القرآن. قاهره: دار إحياء الكتب العربية.
٢٥. الشهيد الثاني، زين الدين بن علي. (١٤٠٨ق). الرعاية في علم الدراية (حديث). قم: مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي.
٢٦. الصدوق، محمد بن علي. (١٤١٧ق). الأمالي. قم: مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة.

٢٧. الصدوق، محمد بن علي. (١٩٨٤م). عيون أخبار الرضا (عليه السلام). بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
٢٨. الصفار، محمد بن حسن. (١٣٦٢ش). بصائر الدرجات. تهران: انتشارات اعلمي.
٢٩. الطباطبائي، سيد محمد حسين. (١٤١٧ق). الميزان في التفسير القرآن. قم: دفتر انتشارات اسلامي جامعهي مدرسين حوزة علميه قم.
٣٠. الطبرسي، الفضل بن الحسن. (١٤٢٠ق). تفسير جوامع الجامع. قم: مؤسسة النشر الإسلامي.
٣١. الطبرسي، الفضل بن الحسن. (١٣٧٢ش). مجمع البيان في تفسير القرآن، تهران: انتشارات ناصر خسرو.
٣٢. الطبري، محمد بن جرير. (١٣٦٨ش). تاريخ الطبري (فارسي: مترجم پاينده). تهران: انتشارات اساطير.
٣٣. الطبري، محمد بن جرير. (١٩٩٥م). جامع البيان عن تاويل آي القرآن. بيروت: دار الفكر.
٣٤. العجلي، احمد بن عبدالله. (١٤٠٥ق). معرفة الثقات. مدينة: مكتبة الدار.
٣٥. العسقلاني، ابن حجر. (١٤١٥ق). الإصابة في تميز الصحابة. بيروت: دار الكتب العلمية.
٣٦. الفتال النيشابوري، محمد. (بي تا). روضه الواعظين. قم: منشورات الشريف الرضي.
٣٧. القرطبي، محمد بن احمد. (١٩٨٥م). الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي). بيروت: دار إحياء التراث العربي.
٣٨. القمي، علي بن ابراهيم. (١٣٦٧ش). تفسير القمي، تحقيق: سيد طيب موسوي جزايري، قم: دار الكتاب.
٣٩. الكاشاني، ملا فتح الله. (١٤٢٣ق). زبدة التفاسير. قم: مؤسسة المعارف الإسلامية.
٤٠. الكليني، محمد بن يعقوب. (١٣٦٣ش). الكافي. تهران: دار الكتب الإسلامية.
٤١. گرجي، ابوالقاسم. (١٣٨٥ش). تاريخ فقه و فقها. قم: سازمان مطالعه و تدوين كتب علوم انساني دانشگاهها (سمت).
٤٢. مجاهد بن جبیر، ابي الحجاج. (بي تا). تفسير مجاهد. اسلام آباد: مجمع البحوث الإسلامية.
٤٣. المغربي، القاضي النعمان. (١٩٦٣م). دعائم الاسلام. قاهره: دار المعارف.
٤٤. الواحدي، ابي الحسن. (١٤١٥ق). الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (تفسير الواحدي). دمشق، بيروت: دار القلم، الدار الشامية.

لهذا الغرض، راجع (الطبري، ١٩٩٥، ص ١٩: ١٤٨-١٤٩. ذيل تفسير الآية تحذف علانية العبارة «قال: إن هذا أخي و وصيي و خليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا» -التي قالها النبي (ﷺ) عن الإمام علي (عليه السلام).

١ كان من كبار اليهود الذي تسلم عند دخول النبي إلى المدينة. ينظر : (ذهبي، ١٩٩٣م، ج ٢: ص ٤١٤). كان يعرف بأسم الحصين في الجاهلية واختار النبي (ﷺ) اسم عبد الله له بعد اسلامه ((ر . ك : العيني، بي تا، ج ١٦: ص ١٦١؛ ابن عبد البر، ١٩٩٢م، ج ٣: ص ٩٢١) ، ويروي ابن أبي الحديد رواية تدل على توتر العلاقات بين عبد الله والإمام علي (عليه السلام) حتى عدم بيعته مع الإمام. عندما خلفَ الامام علي (عليه السلام) ارسل إثر البعض و أمرهم بالبيعة. قالوا للإمام: ألا ترسل إثر ... عبد الله بن سلام للبيعة . قال الإمام: لا نحتاج إلي من لا يحتاج إلينا. (ابن ابي الحديد، بي تا، ج ٤: ص ٩) نلخص الكلام بأن هذا الشخص ليست له سمعة حسنة عند الإمامية